

روح المعاني

قال : قال : فان كان محمد صلى الله عليه وسلم أكرم عليك مني فهل أمة محمد أكرم من بني اسرائيل فقلت البحر لهم وأنجيتهم من فرعون وعمله وأطعمتهم المن والسلوى قال : نعم أمة محمد E أكرم علي من بني اسرائيل قال إلهي أرنيهم قال : إنك لن تراهم وإن شئت اسمعتك صوتهم قال : نعم إلهي فنادى ربنا أمة محمد صلى الله عليه وسلم أجيئوا ربكم قال : فأجابو وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم إلى يوم القيامة فقالوا : لبيك انت ربنا حقا ونحن عبيدك حقا قال : صدقتم أنا ربكم حقا وأنت عبيدي حقا قد عفوت عنكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني فمن لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة قال ابن عباس فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم أراد أن يمن عليه بما أعطاه ومما أعطى أمته فقال يا محمد : وما كنت بجانب الطور إذ نادينا واستشكل ذلك بأنه معنى لا يناسب المقام ولا تكاد ترتبط الآيات عليه ولا بد لصحة هذا الخبر من دليل وتصحيح الحاكم لا يخفى حاله وقال بعض : يمكن أن يقال على تقدير صحة الخبر إن المراد وما كنت حاضرا مع موسى عليه السلام بجانب الطور لتقف على أحواله فتخبر بها الناس ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بذلك وبغيره رحمة منا لك وللناس والتوقيت ببدء أمته ليس لكون المخبر به ما كان من ذلك بل لإدخال المسرة عليه E فيما يعود اليه وإلى أمته وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم مما يكون من أمة الدعوى من الكفر به E والاباء عن شريعته وتلويح ما إلى مضمون فان يكفر بها هؤلاء وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين وحينئذ ترتبط الآيات بعضها ببعض ارتباطا ظاهرا فتأمل ولولا أن تصيبهم مصيبة أي عقوبة وهي على ما نقل عن أبي مسلم عذاب الدنيا والآخرة وقيل : عذاب الاستئصال بما قدمت أيديهم أي بما اقترفوا من الكفر والمعاصي ويعبر عن كل الاعمال وإن لم تصدر عن الأيدي باجتراح الأيدي لما أن أكثر الاعمال تراول بها فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا أي هلا أرسلت إلينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات فنتبع آياتك الطاهرة على يده ونكون من المؤمنين .

74 .

- بما جاء به ولولا الثانية تحضيضية كما أشرنا اليه وقوله تعالى : فنتبع جوابها ولكون التحضيض طلبا كالأمر أجبت على نحو ما يجاب وأما الأولى فامتناعية وجوابها محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والتقدير لما أرسلناك والفاء في فيقولوا عاطفة ليقول على تصيبهم والمقصود بالسببية لانتفاء الجواب والركن الأصيل فيها قولهم ذلك إذا أصابتهم مصيبة فالمعنى لولا قولهم إذا عوقبوا بما اقترفوا هلا أرسلت إلينا رسولا فنتبعه ونكون من

المؤمنين لما ارسلناك اليهم لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت كأنها سبب الارسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ونكتة إثثار الارسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ونكتة إثثار هذا الاسلوب وعدم جعل العقوبة قيذا مجردا أنهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به إلى العلم اليقين لم يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى